دلبتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

الفصل السادس

بعض رجالها المتوفين (تابع)

٥ الخوري بطرس ديب

هو اول رئيس من عائلة ديب على دير سيدة الحقلة. كان بارًا ورعاً نازعاً الى المعيشة النسكية ، وكان يختلف الى محبسة انشأها بقرب الدير لا تزال آثارها قائمة ليومنا هذا ؛ وفيها يقضي الساعات الطويلة في الصلاة والتأمل .. وقد ذاع صيت قداسته وتقشفه فأخذت التقادم والنذور تتوارد الى الدير ، وكثرت املاكه وزادت موارده ، فتمكن من تشييد كنيسة الدير الحالية سنة ١٧٦٥ ، بمعاونة القس يوسف باسيل المعرابي ، كما هو محرر في التاريخ المنقوش فوق الباب المختص بالراهبات . وفي سنة ١٧٦٦ نال من الامير يوسف شهاب الوالي مزرعة مستيتا في بلاد جبيل ، وهاك الخبر: ذهب الخوري بطرس الى جبيل قاصداً الى دار الامير يطلب صدقة لمعاش رهبان ديره ، وكانت ابنة الامير في تلك الاثناء طريحة الفراش اعترتها مرض أعيا الاطباء . فأعلم الشيخان منصور الدحداح وسمعان البيطار الامير بقدوم هذا الكاهن وطهارة حياته وقداسة اعماله ، وعرضا عليه ان يدخله مخدع المريضة ويصلي على رأسها لعل الله يمنّ عليها بالشفاء بواسطة هذا الناسك الورع المتقشف . فرضي الامير ، وصلّى الخوري ، وشفيت المريضة. فطابت نفس والدها وزال غمه وفرح كثيراً ، فدخل عليه عندئذٍ الشيخان المذكوران وهنّاه بتعافي ابنته واطمئنان باله ، فاستشارهما في

امر مكافأة الكاهن فاجاباه ان هذا الكاهن من الزهّاد الراغبين عن الاموال، ورهبانه يعيشون من شغل ايديهم ، فاحسن مجازاة الانعامُ عليهم بقطعة ارض يحرثونها. فوقع هذا الرأي عند الامير موقع الرضى ، ووهب الخوري بطرس مزرعة مستيتا الوسيعة ، قرب جبيل ، وشرط عليه في تشييد دير فيها على اسم العذراء مريم . فما لبث الرئيس ان بنى على اسم السيدة كنيسة وديرًا ، وعيّن له رهباناً يقيمون فيه ، وألحقه بدير سيدة الحقلة في دلبتا[1] . وفي سنة ١٧٨١ تنزّل المترجم عن الرئاسة لابن اخيه الخوري موسى ، وتوفي سنة ١٧٨٣ في دير مستيتا الذي انشأه ، ودُفن في كنيسته ، وقد جاء في وصيته ما حرفيته : «وجميع ما يُعرف بنا من املاك وغزوس وغير غروس من فضة وذهب ومن كلي وجزئي وحتى شحيمتنا هي الى دير سيدة الحقلة وجميع ما يُعرف بنا هو للدير المذكور ولا يسوغ لنا الرجوع فيما ذكرنا ولا يسمع لنا دعوى بذلك وحرّرنا ذلك بخاطرنا وتمام رضانا من غير رغم ونحن بصحة عقلنا وجسدنا بحضور رهبان ديرنا كهنة ورهبان».[2]

٦ مرعي الحاج

هو احد افراد عائلة الحصارنة من الفرع الذي ينتمي الى الحاج سليمان من آل عوّاد . مات والده يوحنا ، وله من العمر ١٥ سنة ، ولاحتياجه اضطرّ ان يغادر دلبتا ويدخل خادماً في بيروت عند احد الاغنياء. المدعو الشربجي من موظفي الامير يوسف شهاب، حاكم الجبل ، وكانت بيروت وقتئذٍ تابعة لولايته. ولما بلغ مرعي أشدّه، اي حوالي سنة ١٧٧٠، استخدمه الامير يوسف. وبعد ان امتحنه ورأى نباهته اكرمه واعزّه وجعله وكيلًا على املاكه في الزلقة وما جاورها ، ووكل اليه ايضاً المشائخ بنو خازن الخازن تدبير ارزاقهم في النقاش، وضُبية ، وحالات . ففوّض مرعي ادارتها الى اثنين من بلدته ، وهما مُوسى مراد ، وطنوس عيد الحداد ، وعيّن لهما ثلثي دخل وكالته ، وابقى لنفسه الثلث

(١) الخوري منصور: المقاطعة الكسروانية ص ١٨٠ - ١٨٢ ، وضكوك دير الحقلة.
(٢) سجلات البطريركية المارونية: المجلد الثاني ، ص ٦.

الآخر . فانالته وظيفته هذه اموالاً جزيلة فـاخذ يبتاع الاراضي والعقارات في بشيمون ، وضبيه ، ودلبتا ، واكثر ما اقتناه في دلبتا كان حول بيته فشاء ان يبني لنفسه مدفناً في رزقه ، وكان رزقه قرب الكنيسة الرعائية . فعارضه بعض الاهالي ، وبينهم الخوري بطرس روفائيل الذي اقام دعوى عليه . وقبـل ان يحكم فيها صدر امر الامير يوسف بجباية مال اعانة من وجهـاء البلاد على حسب عوائد حكام ذلك العصر الذين ينالون الولاية مبـايعةً فيجبون المـال بكل الوسائل ليفوا كُلف الفوز بوظيفتهم ، وقد خُصَّ الخوري بطرس روفائيل بدفع خمسمائة غرش ، ومثل هذا المبلغ كان لا يستهان به في تلك الايام . فلما علم مرعي بذلك أوقف الخيَّال الجابي عن المسير ودخـل على الامير ورجاه ان يرفع المبلغ المطلوب عن الخوري بطرس ، فاجابه الامير الى حاجته . فاستكبر الخوري بطرس مثل هذا التصرّف وكفّ عن ملاحقة دعواه ، واخذ على نفسه ملاحظة بناء المدفن اقراراً لمرعي بالجميل .

وفي سنة ١٧٩٠ استقدم احمد باشا الجزّار الى عكّا الامير يوسف واولاده ومدبّره الشيخ غندور سمد الخوري ، وكان مرعي معهم . فامر الجزّار بشنق الامير يوسف والشيخ غندور ، وبقي مرعي مع اولاد الامير . غير انه لم يلبث ان مرض مرضاً عضالاً لما اصـابه من الهمّ والحزن على موت مولاه والمحسن اليه ، فاستحضر القس لوقيانوس الماروني ، خادم رعيـة عكا ، ورقم وصيّته الاخيرة على يده وهذه خلاصتها : ذكر اولاً الديون التي لـه وعليه ، ثمّ اقام وصياً على اولاده اخاه الخوري انطون ، وعيّن مساعداً له في هذه المهمّة الخوري موسى ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، وطلب ان يُباع قسم من املاكه لاجل تقديم القداديس لاجل راحة نفسه ، ويُباع ربع ارزاقه في ضبيّة ويُعطى ثمنـه للفقراء او يوزّع ريعه سنوياً عليهم . واما مصوغ ولده يعقوب فاوصى بان يُعطى منه الخلخال لمار الياس انطلياس ، وقرص الطربوش الفضي لكنيسة مار يعقوب في دلبتا ، والزنار لدير سيـدة الحقلة » . وصرّح بان املاكه تكون لولـده يعقوب ان أتاح الله له حيوة طويلة ، والا فالبيت وما يتبعه من الاملاك يخصّص لانشاء مدرسة لاولاد القرية وامر اخيراً بان يُباع كل مـا في حجرته في عكّا

من الامتعة والاثاث فيُقدَّم من الثمن اربعون غرشاً الى دير مار الياس في جبل الكرمل ، وعشرون غرشاً الى القس لوقيانوس لقاء اتعابه ، واربعون غرشاً الى كنيسة عكا « والذين يحفرون قبره ويحملونه يُعطى لهم حسب عادة المحل » . توفي سنة ١٧٩٨[1]

٧ الخوري انطون الحاج

كان اسمه جناديوس ، وهو اخو مرعي المتقدّم ذكره . كان له صوت جميل رخيم مطرب ، فاتخذه في بدء الامر الخوري بطرس ديب ، رئيس دير سيدة الحقلة ، شماساً له ، فتعلم في الدير بعض العلوم والكتابة على القس الياس شمعون المعروف وقتئذٍ بجودة خطّه ، فافلح جناديوس في دروسه . ونحو سنة ١٧٨٦ ، دُعي استاذًا لاولاد المشائخ الخازنيين في قرية عجلتون ، فاحبّه الجميع لحسن آدابه واستقامة سلوكه وعجبوا من جمال خطه . ثم سار مع اخيه مرعي الى الشيخ سعد الخوري ، فوكله بتعليم ولده راجي . وفي تلك الاثناء ، عرض عليه صورة بيورلدي بخط المعلم الياس ادّه ، كاتب وزير صيدا ، المشهور بحسن خطّه وسأله امتحاناً له ان ينقلها فنقل . فجاءت كتابته مثل كتابة البيورلدي كأنها عينها ، فسرّ الشيخ سعد بمهارته واكرمه وجعله كاتب سره . ولما كان ورعاً تقيًّا ، مال عن الدنيا الى الدرجات المقدسة ، فرقّاه المطران بطرس مبارك نحو سنة ١٧٩٠ درجة الكهنوت باسم انطون وجعله كاتباً له . ثم سامه برديوطاً على ابرشية بعلبك ، وكان يعتمد عليه في انجاز الاشغال وزيارة الابرشية . فاظهر دهاء في حلّ المشاكل ، واحسن التصرُّف في علاقاته حتى اكتسب وجاهةً واعتباراً لدى الجميع . فكان ذلك داعياً في اعين الحساد الى ان يضرموا نار الفتنة بينه وبين رئيسه ، فوشوا به الى المطران وقالوا ان الخوري انطون ساعٍ الى استمالة الرعية ليفتقدك كرسيك ويحلّ محلك ، فوقعت هذه التهمة عند المطران موقع الصدق فداخله الريب . وما درى الخوري بالامر حتى بادر وبرّأ ساحته امام رئيسه واستأذنه في الانخراط في احدى الرهبانيات القانونية ، ثم ترك ريفون ودخل دير طاميش

---

١) النبذة ص ٣٠ وما يليها

سنة ١٧٩٣ . وكان القس سمعان الخازن رئيساً عاماً في ذلك الحين ، ومكث في الدير خمس سنين ، وبعدها استدعاه ثانية المطران بطرس مبارك بعد ان تبيّن له افك الحساد وكذب المفترين ، واسترضاه وزاد في اكرامه ووضع فيه ثقته وسلّمه جباية العشور ومصالح الابرشية الى ان وافى الاجل المطران سنة ١٨٠٧ . فعُيّن حينئذٍ المترجم مرشداً لراهبات دير سيدة الحقلة ودير مار عبدا هرهريا . توفي سنة ١٨٢٧ وله من العمر ٥٧ سنة [1] .

٨ الخوري يعقوب الحاج

ان المترجم هو ابن مرعي الحاج المتقدّم ذكره . توفي والده ، وله من العمر خمس سنين ، ولما مات عمه الخوري انطون كان اناف على الثلاثين فاراد ان يقبل سرّ الكهنوت . وبعد ان درس اللاهوت على الخوري فرنسيس زوين ، رقاه المطران انطون الخازن الى درجة القسوسية سنة ١٨٢٩ ، وسلّمه رعية دلبتا قريته . فاجتهد اجتهاد الراعي الساهر على حفظ خرافه ، واخذ يرشد وينبّه من يرى فيه تهاملاً او جهلاً ، وكان يشرح كلّ يوم احد التعليم المسيحي في الكنيسة امام ابناء رعيته ، ويسأل كل مرة اثنين او ثلاثة من الاكثر وجاهة ان يراجعوا ما فسّره وأوضحه في المرة السابقة تنشيطاً للامين على الاقتداء بهم ، ويحرّض الجيران المتنوّرين على تعليم جيرانهم الجهّال قواعد دينهم . وكان يُبدي بعض الصرامة نحو المتباغضين والمتخاصمين ، فلا يرضى عنهم الا بعد ان يتصالحوا . ومن اكبر همومه تنبيه الوالدين على واجباتهم العائلية ، فينتهز كل فرصة ليرشدهم الى تربية اولادهم في خوف الله وتعليمهم اياهم امور الخلاص ، وارسالهم الى المدوسة لاقتباس التهذيب والعلوم ، والسلوك الحسن امامهم . قد هابه كثيراً اهل قريته لانهم عرفوه صادقاً جريئاً نزيهاً لا يحابي احداً ، ولم يكن ليضنّ بزياراته للمرضى من ابناء رعيته لاسيما للفقراء منهم . وفي سنة ١٨٣٢ حدث في دلبتا امراض وبائية منها الجدري ، فكان يتردّد الى المصابين ليلاً ونهاراً موزّعاً عليهم الحاجات الروحية والجسدية ، وما يُشرف واحداً منهم

---

(١) النبذة ص ٢٢

على الموت حتى يُسرع اليه ويقترب منه بدون ما خوف ويزوّده بالاسرار. وفي تلك السنة عينها مرض بالطاعون احد ابناء القرية ، المدعو يعقوب طنوس ، لانه لبس ثياباً لمطعونين اشتراها في بيروت ، وهو غير عالم بذلك ، فزاره حالاً الخوري يعقوب ومنحه الاسرار المقدسة وظل يعوده كل يوم منشطاً مسلياً ويحرّض والدته على التحرّز في خدمته والتيقّظ ويقدّم لهما ما يحتاجان اليه الى ان شفي المريض ونجا الاهلون من المدوى. فهذه الاعمال الرسولية اذاعت طيب ذكره فطلب الامير امين ، ابن الامير بشير شهاب ، من المطران انطون الحازن سنة ١٨٣٥ ان يكون الخوري يعقوب خادم داره في بيت الدين. فما لبث مدة حتى لمعت فيه الفطنة ودماثة الاخلاق ، فتعلق به سكان دار الامير واحبوه حباً شديداً وزاد اعتبارهم له لما رأوا فيه من الهمّة في تتميم واجبات وظيفته الروحية. وكان له التأثير الحسن على مستخدمي القصر فحوّل موضوع محادثاتهم الى الامور المفيدة الادبية والدينية. واتفق ان رجلاً ارمنياً كاثوليكياً من حاشية الامير مرض مرضاً عضالاً ونقه منه ، فمرّ به المترجم وكان ذلك عند العصر فرآه جالساً على باب حجرته تجاه الشمس وبيده سيكارة يتسلى بها. فأمعن النظر فيه ولاحظ ادلة تشير على انحراف جسيم في صحته وبعد ان تجاذبا اطراف الحديث سأله برقّة وحيلة: بنيّ أتريد ان تعترف ؟ اجاب المريض: نعم. وكان بعض الخدم حاضرين فتهامسوا مدمدمين وقالوا: ليس من داعٍ يستوجب مثل هذه العجلة ، فان الرجل قد تعافى فلا لزوم الى ازعاجه الآن. غير ان الكاهن اشار على المريض بان لا يعبأ بهذه الاقوال وسمع اعترافه ثم شعر بان حال المريض زادت سوءاً. وقلقاً واضطراباً فناوله القربان المقدس ومنحه سر المسحة وتلا امامه رتبة المنازعين ، ومكث الليل بالقرب منه ، ولم يفارقه الّا عند الفجر بعد ان فارق الحياة. فانذهل من في القصر من هذا الحادث واجمعوا على الثناء على ذكاء هذا الكاهن الفاضل وغيرته.

وقد مكنته اعماله هذه التقوية من اتمام بعض امور كان يتمنى تحقيقها قياماً بوظيفته الروحية منها ازالة الخلاف الذي كان تفاقم بين الامير امين والبطريرك يوسف حبيش والقاء السلام بينهما.

وفي سنة ١٨٣٧ ، أصدر ابراهيم باشا امراً باعادة الاحصاء في لبنان وذلك لكي يتسنى له ان يزيد عدد المكلفين والضرائب . فكان للمترجم اليد الطولى في ان يجري المدّ في دلبتا بالرفق والانصاف . وفي تلك السنة نفسها ، طلب اقالته من خدمة الامير . وما لبث ان قدمت عساكر الدولة العثمانية وعساكر الدول الاوربية لمحاربة ابراهيم باشا في لبنان ، فاسفرت المعارك العديدة التي نشبت عن انكسار هذا الاخير ، فنُزل الامير بشير عن ولاية الجبل ، وأُرسل الى المنفى مع اولاده سنة ١٨٤٠ ، ونُصب مكانه الامير بشير قاسم . وفي السنة التالية سمّي عمر باشا حاكماً على الجبل ، فقام الكسروانيون ، وفي مقدّمتهم الشيخان الاخوان رُشيد وخليل الدحداح ، وطلبوا ارجاع الامير بشير الكبير او تعيين حاكم مسيحي عوضاً عن عمر باشا ؛ فعهد هذا الاخير الى منيب باشا في معاقبة القائمين بهذه الحركة واصحبه بخمسمائة جنديّ . فاختبأ الشيخان المذكوران في امكنة مختلفة ، ثم التجأا الى دلبتا ومكثا فيها مدة غير يسيرة عند الخوري يعقوب محتجبين عن اعين الناس .

وكتب الامير امين من الاستانة الى الخوري يعقوب سنة ١٨٤٤ كتاباً به يقيمه وكيلاً على داره واملاكه . فقام باعباء هذه الوظيفة بكلّ اخلاص ، مدة سنتين . ثم استعفى وباشر سنة ١٨٤٧ تأسيس اخوية الجبل بلا دنس في دلبتا . فانضم اليها عدد غير قليل من السكّان ببرهة وجيزة ، وقدم للمطران انطون الحاتن عريضة فيها يلتمس تثبيت هذه الاخوية وقوانينها ، فاجابه المطران الى طلبه وعيّنه مرشداً لها ، فشرع في القيام بما تطلبه وظيفته هذه الجديدة من وعظ وارشاد وسهر وتوزيع الاسرار . وثبت مثابراً على هذا العمل المبرور الى سنة ١٨٦٩ ، فاصيب بداء الفالج واخذ يستعدّ للملاقاة ربه . وكانت وفاته سنة ١٨٧١ ، وله من العمر ٧٧ سنة [1] .

١) النبذة ص ٢٣ وما يليها .

(له صلة)